



{سبحان الذي أسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}. طال مدى الظلم وامتدت سنوات الأسر، وظللت جحافل الظلام تلفّ لستين طوال وأنتِ ما زلتِ أنتِ، محراباً ومسجدأً، وقنديل هداية، ومعراج شهادة، وورداً لكل ظامي للمجد ساع إليه، وما ذاك إلا لأنك أنت القدس، معراج الأنبياء، ومنارة الأديان، ومهد الحضارة، وائلتلاق السماحة، وعهدة عمر الفاروق، وأمانة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبشارته بعودة العدل والندي والرحمة والخلافة الراشدة إلى الأرض على ترابك، وفي أكتافك، لتملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وأي جور يا قدس فوق ما نحن فيه؟، وأية هزيمة أكبر من أن تظلّي أسيرة شرذمة من شرار الناس، دينهم البوائق، ونهجهم القتل، وحصتهم أعداء الأمة المحمدية في كل بقاع الأرض؟ وأية ذلة ترافق كاهل الأمة أعظم مما ابتلينا به من الرهق والخنوع والمسالمة مع اليهود الذين استباحوا حماك وشردوا بنيك وسيّروا التاريخ في مدارهم بالتزوير والسرقة والبهتان؟ (أليسوا قوم بهت)؟ من غضب الله عليهم ولعنهم، ونحن مازلنا نتساءل: هل أنتِ في صميم تاريخنا، وهل القدس بندأً في عقيدتنا، وهل تحريركِ فرض في عنان أبناء الأمة الإسلامية؟

بلى والله لأنكِ في القلوب عقيدة، ولمسجدكِ في كتاب الله قبلة ومسرى، ولأرضكِ في كتاب الله مهبط البركة إلى يوم القيمة.

يا قدس أعيننا الرحيل والانهزام، هلاً قبلت الاعتذار؟ هلاً نظرت إلى الجموع على حدود النهر تهتف باسمك وباسم مسجدكِ المبارك؟ بالروح بالدم بالأحباب بالمهج العزيزة نفتديكِ، يا أولى القبلتين، يا ثالث المساجد التي تشدق إليها الرحال، يا منبر صلاح الدين بعد الحرق جدناكِ، بعد سنين غربتنا وسهوتنا رجعنا، قرآن ربنا يهيب بنا ويبشرنا بخزي يهود، وتتبير ما صنعوا؛ {ولَيَتَّبِعُوا مَا عَلِوْا تَتَبِّرَ}.

نحن والوعد الرباني على موعد مع الفجر، مع التكبير، مع العودة إلى الله، مع استلهام دروس التاريخ العصي على الزوال، باستقراء السنن الربانية، بمراجعة توجيهات علمائنا الأبرار، ولنصلح إلى محمد إقبال وهو يقف في المؤتمر الإسلامي الأول، وقد أحس علماء الأمة المجاهدون بخطر اليهود، وتوطئة الانجليز لهم، وتخوفوا قبل عقود مما يحدث اليوم، فعقدوا هذا المؤتمر الذي ضم كبار دعاة الأمة وبركتها، من أهل الجهاد والأدب والفقه؛ فيقول: "على كل مسلم عندما يولد ويسمع كلمة لا إله إلا الله أن يقطع على نفسه العهد أن ينقذ الأقصى".

لقد أدرك المخلصون من رجال الأمة ومفكريها بالخطر اليهودي مبكراً، ولفتوا أنظار العالم إليه، وسعوا إلى إجهاض المخطط الصهيوني في مهده، ولكن الاستعمار المتغلغل في جسد الأمة في تلك الفترة، وما تبعها من مراحل حروب التحرر، وخروج الأمة من معاركها منهكة متشرذمة، مبتلة بالضعف والتقسيم، جعل الأحداث والمحن تتواتي على الأمة عامة، وعلى فلسطين والقدس بصفة خاصة، فحلت بنا مصيبة الاحتلال الصهيوني، دون أن نعي درس المؤتمر الأول، ودون أن نأخذ حذرنا من عدونا، فأمسينا وقد ضعنا وضيّعنا الأقصى، منبر عزتنا، وملهم نهضتنا، ومسرى نبينا - صلى الله عليه وسلم - وحرابه الذي ألم به الأنبياء - عليهم صلوات الله -، وببدأنا رحلة البحث عن سبيل التحرير والعودة، والتطهير لهذه البقعة المباركة من أهل الرجس، وغدرونا نركض خلف كل صوت، ونسري وراء كل سراب، وتخبطنا ما فيه الكفاية، وتنكبنا جادة الصواب مرات ومرات، ولكن هيهات هيهات، لأمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تموت فيها روح الجهاد مادامت سورة الإسراء تتلى آناء الليل وأطراف النهار.

وها نحن ننهض من جديد، في كل يوم في ربك على ثراك لنا شهيد، علماؤنا شهداؤنا خطباؤنا أطفالنا ونساؤنا يستنطقون المجد والتاريخ، يذكرونبني يهود بيوم خير أو قريظة، وما قريظة بالبعيد.

يا قدس يا محراب يا مسجد، ظل شاعر الأقصى ينادي حتى لقي ربه مرضياً - إن شاء الله -، وما زال صدى صوته يدوي شرعاً، يؤكد أنك عقيدة في القلوب وقصيدة في المحافل وخطبة عصماء على المنابر، وغداً تسير إليك الجموع الصامدة الآملة بقرب الفرج الرباني لتقول للطاغوت لا، لن يهدم الأقصى، ولن يحرق المنبر مرة أخرى، ولن تهزم الأمة مرة أخرى - بإذن الله -، فغزة دفعت ثمن العزة، وكتاب الله وعدنا بالنصر، ورسولنا الصادق المصدق بشرنا بالفتح والتمكين، وأمته ماضية للأخذ بشروط النصر، ولن يخذلكا ربها - بإذن الله -.

يا قدس موعدنا قريب، فالنصر يؤذن فجره بالانبلاج، حتى وإن ألقى عليك قرون ضعفنا بظلالها، فلم تغب شمسنا بعد، وأمة الإسلام في أجيالها القادمة ألف صلاح، وخالد، وأسامي، وفي صفوفها آلاف الأماء مثل أبي عبيدة، وقصائد الأمل المرجو ما زالت تنادي، أي قدس موعدنا ضفاف النهر، فارتقي مسار النهر، حين تخضر الموسام، وتصير كل صخوره وغضونه جنداً تنادي: يا مسلم يا عبد الله، حينها يا قدس نهرع نحو مسجدك المبارك، نحو منبرك المبارك، نصفي إلى العهدة العمرية، وتتردد في أسماعنا خطبة القاضي الفاضل، يوم حرتك صلاح الدين، تبعق في سمائك رائحة ماء الورد الذي غسلك به الناصر الميمون، ونطوف في أرجائك الطاهرة نوصل إليك باقات النشيد التي طرّز بها شاعر الأقصى دواوينه وصارت نشيضاً في أفواه الأجيال.

يا قدس يا محراب يا مسجد: ولأجل أقصانا الحزين، تهون كل الغاليات، فداء أول قبّلة في الإسلام، كيف يبيع المرء قبلته ومسجده الذي إليه يؤمر أن يشد إليه رحاله وأن يضيء قناديله، وإن يتلو ما نزل من كتاب الله في أفضليته وبركته؛ (إإن لم تستطعوا الصلاة فيه، فابعثوا بزيت يضاء في قناديله).

المصادر: